القواعد التى قامت عليها حركة الأحرار

- العمل الجماعى وحده هو الطريق إلى النجاح
- النقراشى يهاجم الإنجليز ويضرب الشعب!
- أهداف.. وهدف...
- الأخوان المسلمين يهادنون صدقى..
- لابد من قيادة..
- مصابيح فى الطريق...

www.anwarsadat.org

أن السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة، راجع إلى الروح التى سادت فى التمهيد لها..

فقد يجتمع الناس حول مبادئ، حول نظريات يقرءونها، ويعتنقونها، أو أفكار يبشر بها دعاتها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبادى والنظريات، والأفكار غايته، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته، وما بعد الذروة أيضا أن صح هذا القول...

ولكن هذه المبادئ، والنظريات، قد تتعرض للجدل، فتتعرض الجماعة للانقسام..وقد يتفاقم الجدل، فينحرف عن الآراء إلى أصحابها ، وتبرز الأشخاص، وتختفى الآراء.. وتتلاعب أهواء النفوس.. ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه..!

حدث هذا كثيرا.. حدق فى مصر، وحدث فى غير مصر.. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور، لان مجادلات قامت بين قادتها، أورثتهم التفكك والتحزب، وفتحت الثغرات بينهم لمطامع النفوس وأهوائها...

ولست أكتب هذا غضا من قيمة المبادئ والنظريات فما استحق الحياة من لا مبدأ له يعيش من أجله. ولكننى فقط أرى أن المبادئ وحدها لا تكفى، لان الرباط الذى يربط العقول، لا يستطيع دائما أن يربط القلوب، أن يذيب الهوى، ويقتل الأطماع...

ولذلك أرجع الفضل فى نجاح هذه الثورة، وعدم انكشاف أمر مدبريها والممهدين لها.. إلى شئ أهم كثيرا من المبادئ التى قامت عليها، وقامت من أجلها.. إلى الصداقة العزيزة الوثيقة، التى ربطت بين كل من شارك فيها، صغيرا كان أم كبيرا...

وهل كان يمكن، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الأحرار قبيل الثورة على الألف ضابط، فلا يوجد بينهم خائن، ولا وجل ولا ثرثار؟!..

وهل كان يمكن، لولا هذه الصداقة، أن تقوم الثورة فعلا، وتنجح، فلا يعرف من الأحرار آلا هذا العدد الضئيل، الذى ألزمته ظروف الثورة أن يظهر بوجهه على مسرح الأحداث، وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير؟!..

أنها الصداقة فقط.ز الصداقة التى استطاعت أن تحوط مبادئ الثورة بسياجها المتين، وأن تحمى النفوس من نزواتها.. لأنها احتلت من كل قلب منزل الأطماع..

وبهذا الدستور.. دستور الصداقة... بدأ التكوين الفعلى للأحرار فى عام 1944...

اجتماعات

كانوا قد أصبحوا جماعة من الأصدقاء. جماعة صغيرة عرف بعضها بعضا فى ظروف كثيرة مختلفة.. وقربت بينهم صداقة أثيرة واعية...

ومنهم من عرفه الناس فى مجلس الثورة بعد ذلك.. ومنهم من لا يزال بنصيبه من العمل فى وحدته أو سلاحه أو الإدارة التى ينتمى إليها..

كان منهم مثلا، جمال عبد الناصر...

وكان منهم طلعت خيرى وعبد المجيد فؤاد من سلاح المدفعية.. وكان منهم عثمان بورى من ضباط المخابرات وكان منهم كمال الدين حسين.. وكان منهم حسين حموده... وعبد المنعم عبد الرؤوف...

وكان معهم آخرون أيضا.. فليست أذكر الأسماء هنا على سبيل الحصر.. فقد كان معهم مثلا الصاغ خالد محيى الدين، وكانوا يجتمعون أحيانا فى بيته بشارع الخليج بالحلمية.. كما كانوا يجتمعون فى بيت جمال الذى كان يقع عند تقاطع شارع الملك مع شارع الملكة نازلى..وأحيانا، كانوا يجتمعون فى بيت عثمان نورى بشارع جسر السويس بضاحية مصر الجديد... وأحيانا فى بيت حين حموده بمنشية البكرى.

رأى عام

أصدقاء متفاهمون.. يريدون أن يعلموا شيئا..

ويستعرض هؤلاء الأصدقاء حالة البلاد.. فيخرجون بعدد من الحقائق التى يجب أن يحسب لكل منها حسابها..

يستعرضون حالة الجيش، فإذا هى حالة أليمة غير مشجعة.. فلم يكن لضباط الجيش إذ ذاك رأى عام. ولو فرض أن كل ضباط صغير كان إذ ذاك ساخطا فى نفسه..فإن هذا السخط لا يمكن أن يؤدى إلى نتيجة عملية. ما لم يصبح سخطا عاما. محدد الأسباب، دافعا إلى التكتل والعمل..

فالمشكلة الأولى إذن، هى مشكلة خلق رأى عام واع بين ضباط الجيش، حتى يستطيع هذا الرأى العام أن يحرك الجيش كله نحو هدف واحد، بصورة منظمة منسقة تؤتى ثمارها..

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة، ما سبق من أحداث خلال الفترة الأولى من أيام الحرب.. فقد كنا إذ ذاك نعمل.. ولكننا كنا نعمل اعتمادا على أنفسنا، لا على رأى عام موحد بين الضباط.. ولذلك كانت أعمالنا فردية، أو شبه فردية.. وقد تأكد لهذه المجموعة ألا جدوى هناك من أى عمل فردى.. وأن العمل يجب أن يكون عملا جماعيا ما يأتى نتيجة لرأى عام يجمع الضباط...

الجيش والشعب

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها.ز هى مشكلة انعزال الجيش عن الشعب، و تسخيره دائما ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد...

فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله.. عبء الثورة بعد الثورة.. عبء التضحيات الجسمية والاستشهاد برصاص السلطات المصرية والإنجليزية أيضا..

وكان الجيش.. الجيش المصرى.. هو القوة الخارقة التى يحسب الشعب حسابها، كلما فكر فى الثورة من أجل تحقيق أهدافه..

كانت هذه هى صورة الجيش فى نظر الشعب.. أو كان هذا هو الوضع المتعارف عليه.. ولم يحدث أبدا أن حاول الجيش إزالة هذه الفرقة بينه وبي الشعب، لا لأن ضباط الجيش كانوا يكرهون ذلك، ولكن لانهم كانوا منصرفين عنه انصرافا غير واع.. أى أنهم كانوا تستسلمين للأمر الواقع المتعارف عليه..

وكانت هذه المجموعة نرى أن الشعب الذى تحمل حتى اليوم كل لتبعات والتضحيات ينبغى أن يطمئن إلى جانب جيشه.. وأن يدرك أن هذا الجيش معه لا عليه.. وعلى الأقل: أن يدرك أن هذا الجيش، أن لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعة، فلن يكون عليه بحكم بصريته...

أهدافه...وهدفه

واستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى...

خطة لها أهداف صغيرة بعضها بعضا.. ولها هدف كبير غاية ــ يجب أن تصل إليها مهما بعدت الشقة وطال المدى..

وأصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الأيام، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى:

- خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش.
- أشعار الضباط أن عليهم مسئولية كمواطنين لا تقل مسئولية أفراد الشعب العادين.

- التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن وجيههم إلى أن يكون للجيش نفسه دور فى عملية إنقاذ البلاد، أو أن يكون على الأقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة، بحيث لا يشترك إلى تسديد الضربات إلى الشعب إذا تقدم أحد لحمل تبعة الإنقاذ...

أما الهدف البعيد من كل هذه فهو الوصول بأى صورة من الصور إلى تغير النظام الملكى القائم فى البلاد.

لا سرية..

وبدأت المجموعة بعد ذلك تسير إلى هذه الأهداف وفق نظام معين أيضا تم الاتفاق عليه..

فقد تم الاتفاق مثلا على نبد السرية نبذا تاما فى هذه المرحلة مراحل الدعوة...

فإن السرية توحى بالتآمر، وتنذر بالخطورة ولا تستطيع أن تجمع الأنصار بسهولة، لان عامل الخوف والحذر قد تغلب فى آخر الأمر.

فلتكن العلنية أذن هى الوسيلة.. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها، واختيار الأشخاص الذين يبدو إخلاصهم وقدرتهم على العمل دون أثاره لغط أو شكوك فى صفوف الضباط أو فى الأوساط الحاكمة..

وكانت هذه هى الخطوة الأولى.. فقد أثبتت هذه المجموعة بين جماعات الأصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشاكل الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. الداخلية والخارجية...

وبدأت هذه المناقشات العلنية تستهوى الضباط الشبان المتحمسين.. وتملا حياتهم بشىء جديد يعطيها قيمة أكثر.. فقد كانت حياة ضباط الجيش حتى ذلك الوقت حياة خاوية الا من النظريات العسكرية التى يدرسها والتدريبات التى تقوم بها، ومشاكله الفردية الجدية أو العابثة على حد سواء...

وانتشرت هذه الاجتماعات المفكرة.. أو انتشرت هذه المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة..

لابد من قيادة

وبدأت بواكير النجاح تظهر سريعا..

فقد بدأت تسمع نفس المناقشات هنا، وهناك.. وبدأت ترى الضباط يلتقون، فإذا هم متفقون فى السخط، متفقون فى الشعور بحاجات الوطن، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من أجل إنقاذه...

ومعنى هذا أن الرأى العام قد بدأ يتكون.. وأن عقبة كبيرة من عقبات الطريق، قد أخذت تزول..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه.. فقد كان واضحا أن هذا السخط عندما ينمو، يمكن أن يكون خطرا كبيرا، إذا لم يصحبه توجيه سديد..

فقد تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر وبين يوم وآخر من تلك الأيام العصيبة السوداء.. وإذا بالساخطين ينفجرون فرادى.. أو ينفجرون دون وعى، فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها.

وقد تستطيع بعض الهيئات أو الجماعات، إذا تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش، أن تحاول ضمهم إليها بصورة أو بأخرى.. وعندئذ تلفت من الجيش قيادته، إلى أيد قد لا تحسن التوجيه..

وعادت المجموعة تنفق على أساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح:

- العمل على الا يتأثر الضباط بالأحداث الجارية أى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى، ودون خطة حكيمة مرسومة..

- والعمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم، فلا يرتبطون كأفراد، أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش فإن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجيهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطوة، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس...

تجمعات

وكان لابد لضمان هذين العنصرين من نشاط منظم تسيطر على توجيهه مجموعة بنفسها..

ويوما بعد يوم.. وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا، وفى نطاق واسع، وعلى أساس الصداقة أيضا...

وعن طريق هاتين الحركتين، بثت الأفكار، وحذر الضباط من التأثر بالحوادث تأثرا فرديا ومن الارتباط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش...

وبدأت هاتان الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط.. وأصبحنا جزءا لا يتجزأ من الرأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الأسلحة وأطمأنت المجموعة إلى أن الجيش لن يقوم بأى عمل أخرق أو أحمق وأن الضباط سيظلون بمنأى عن التأثر الفردى.. وأنهم لن يعملوا الاجبهة واحدة منظمة..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضباط الجيش، ولا نسبة كبيرة منهم..

فقد كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لا تضر ولا تفيد.. والتى لا يمكن الاعتماد عليها فى أى شىء

وكانت فى الجيش عناصر أخرى مستقلة عن هذا التكوين، كجماعة مصطفى صدقى التى رفضت جماعتنا التعاون معها..

وكانت فى الجيش عناصر انتهازية، لم يكن من الشعب تحديدها== خطرها..

وفى ظلال هذه الاجتماعات العلنية.والمناقشات المخلصة، والوعى الذى بدأ ينمو. تكونت الصداقة القوية بين الضباط.. التى كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ.. وظلت سياجها حتى اليوم..

ومثلما كان من المستحيل الوصول إلى السيطرة الكاملة على جميع ضباط الجيش وعناصره. فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالإحداث الجارية فى البلاد.ز ولكن المبدأ الذى اتفقت المجموعة عليه. منذ البدء..هو الا يؤدى هذا التأثر فى أى عمل فردى. قد ظل سائدا طول الوقت.. وكان تأثر الضباط بالإحداث. عاملا مساعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد، ولتحديد دورهم تحديد واضحا وضوح الشمس..

الأخوان وصدقى

ففى فبراير 1946 ــ مثلا ــ وقعت حوادث الجامعة المشهورة فأثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية. وحقدهم على السلطة الحاكمة المستعمرين...

وفى خلال الأيام التى تلت هذه الحركة، وقعت المهادنة بين صدقى وجماعة الأخوان المسلمين.. فأيدت هذه المهادنة دعوتنا إلى عدم الارتباط بأية جماعة خارج نطاق الجيش. إذا وضح فى أثنائها التناقص بين ضباط الجيش الذين كانوا ــ كأفراد ــ على صلة الأخوان المسلمين، وبين الأخوان كجماعة لها سياستها التى أوحت لها فى ظرف من الظروف أن تهادن حكومة صدقى ضد حركة الشعب.

.. ثم الوفد

وعندما ذهب النقراشى إلى مجلس الأمن === طريقة التى هاجم بها الإنجليز هناك بإعجاب شديد فى صفوف الضباط جميعا.. وفى الوقت نفسه، كشف النحاس عن وجه غير وطنى عندما رسل برقيته المشهورة إلى سكرتير الأمم المتحدة يعلن فيها أن النقراشى لا يمثل شعب مصر.. فى وقت كان النقراشى فيه يهاجم الإنجليز.

ولعل هذين الموقفين قد أحدثا مقارنات كثيرة بين موقف النحاس وموقف النقراشى. فقد كان شعور الإعجاب بالنقراشى فى موقفه، المقابلة شعور الاشمئزاز من النحاس فى موقفه..

ولكن عودة النقراشى من مجلس الأمن، وأعماله التى تبعت ذلك بمنع الحركة الشعبية بالحديد والنار، قد بعث فى الضباط الشعور باليأس من كل الرجال.. وسوت بينه وبين غيره من الذين تشدقوا بالوطنية وخانوا قضية الوطن..

مصابيح فى الطريق

هذه الإحداث بالذات..

حادث الكبارى، وحادث المهانة بين الأخوان وبين صدقى، وحادث برقية النحاس، وحادث قمع الحركة الشعبية على يد النقراشى... قد كان يمكن أن تؤدى جميعا، أو أن يؤدى أى حادث منها إلى انفجار فردى أو جماعى من ضباط الجيش على غير وعى، أو تنظيم سليم..

ولكن المبدأ الذى كان قد ساد الضباط وشاع بينهم، جعل من هذه الأحداث مجرد مصابيح تضىء لهم طريق العمل القادم، وتزيد من وعيهم الحقيقى بما يجرى فى البلاد، وبالدور الذى يجب أن يقوموا به..

ومع الأيام التى تمر.. بدأت المرحلة الثانية، مرحلة التنظيم والتكوين.. بعد أن اطمأنت المجموعة إلى المرحلة الأولى.. مرحلة إشاعة الوعى، وتكوين الصداقات..